﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾

[القصص: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

امتثالُ موسى لأمر النّاصح الصّادق

لمّا نصح الرَّجلُ موسى ﷺ بالخروج من المدينةِ على سبيل الاستعجال؛ امتثل موسى لأمر النّاصح؛ لِما لاحَ له من صدْقِهِ بأماراتٍ بيِّنةٍ واضحةٍ، فخرج، وقد أفلت من طالبيه فلم يجدوه، فوصف الله خروجه بقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَجِّنِي﴾: (نجو) أصلان، يدلُّ أحدهما على كَشْطٍ وكَشْفٍ، والآخر على سِترٍ وإخفاء، والمقصود هنا الأوَّل، فنجا الإنسانُ ينجو نجاةً، ونَجاءً في السُّرعة، وهو معنى الذَّهاب والانكشاف من المكان، وناقَة ناجيةٌ ونَجاةٌ: سريعةٌ[2]، وكلُّ ما في القرآن من هذا التَّركيب، فهو بمعنى: الخلوص من خطر مُحدِق أو عذاب أو غرق أو كرب[3]، وهو بهذا المعنى في هذه الآية، فقد دعا موسى ﷺ ربَّه أن يخلِّصه من كيد فرعون وجنده.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خروج موسى من أرض فرعونَ سائلًا اللهَ التوفيق والعَوْن

يُخبر ربُّنا سبحانه أنَّ موسى ﷺ خرج من مدينة فرعون خائفًا أن يقتل بالنَّفس التي وكزها، فقُتلت، وينتظر الطَّلب أن يدركَهُ، فيأخذه، فدعا الله أن ينقذه من القوم الظالمين[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ العطف بالفاء في ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا﴾:

عطفت الجملة في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾ على

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 295.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نجو).
(3) محمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نجو).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 198، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 387.

ما قبلَها بحرف الفاء الدّال على التَّعقيب، وقد عطفت هذه الفاء على محذوف، تقديره: فعمل موسى بنصيحته، فخرج، فأشعرت هذه الفاء بمبادرة موسى ﷺ إلى امتثال نصيحة الرجل[1].

مـبـادرةُ مـوسى ﷺ لامـتـثـال نصيحة الرَّجل

دلالةُ التَّعبير بالماضي في ﴿فَخَرَجَ﴾:

أوثرَ التَّعبيرُ بصيغة الماضي في الفعل ﴿فَخَرَجَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّق خروج موسى ﷺ من مدينة فرعونَ بعد ما لاح له من أمارات صدق الرجلِ الناصح، فخرج منها فرارًا من فرعونَ وملئه، بدليل قوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: 21].

تـحـقُّـقُ خـروج مـوسى ﷺ من مدينة فرعون

نكتةُ التَّعبيرِ بشبهِ الجملة ﴿مِنْهَا﴾:

استعملَ النَّظمُ حرفَ الجرِّ (من) في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾، ومعناه في هذا السّياق ابتداء الغاية، بمعنى: أنَّ موسى قد انطلق من مدينة فرعون، قاصدًا مدينة مدين، متوكِّلًا على الله في أن يهديه طريقها.

انـطـلاقُ مـوسى مـن مـديـنـة فـرعـون قـاصـدًا مدينة مدين

ويعودُ الضَّمير في شبه الجملة على المدينة المذكورة في الآيات السّابقة، بما اتَّصفت به من كونها مكانَ حصول حادثةِ قتْلِ القبطي، وكون مَلَئِها يأتمرون بموسى ﷺ؛ ليقتلوه، فخرج منها موسى فرارًا بنفسه.

نكتةُ تقديم الجارِّ والمجرور ﴿مِنْهَا﴾:

تقدُّمُ الجارِّ والمجرور ﴿مِنْهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾؛ لنكتةِ الاهتمام بخروج موسى ﷺ من مكان الخوف، وهي المدينة، وتوقُّف حياته ونجاته على الفرار من بطش فرعون وجنوده، كما أنَّ في تقديم الجار والمجرور إزالة للبس في فَهم المعنى، فالجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل ﴿فَخَرَجَ﴾، ولو أُخِّر؛ لأَوْهَمَ تعلُّقُهُ بالوصفين: ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ وهو غير مراد.

تـوقُّـفُ حـيـاةِ مـوسى وأمـنـه على الخروج من مدينة الخوف

(1) درويش، إعراب القرآن: 7/ 297.

سرُّ تكرار الوصفين ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾:

اشتدادُ الخوفِ والترقُّب بعد ظهور حادثة القتل

تكرُّرُ وصف موسى ﷺ بكونه: ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ في كلٍّ من قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾، ويظهر الاختلاف بينهما في اختلاف زمان الخوف والتَّرقُّب ودرجتهما في كلٍّ من الآيتين، ففي الآية الأولى كان الخوف بعد قتْلِ القبطيِّ وترقُّب علم النّاس بأمر المقتول، وأمّا في الآية الثانية؛ فالخوف والترقُّب أشدُّ بسبب ظهور أمرِ حادثة القتل، والتشاور على قتل موسى ﷺ، وترقب لحاق الطلب به لأخذه.

دلالةُ الحال في قولِه: ﴿خَآئِفًا﴾:

تلبُّسُ الخروجِ من المدينة بالخوف

جاء لفظ ﴿خَآئِفًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾ حالًا من فاعل ﴿فَخَرَجَ﴾، ولمّا كان الحالُ على معنى اقترانهِ بصاحبِه في وقت الحدث؛ أفاد أنَّ موسى ﷺ كان خائفًا في وقت الخروج من المدينة، فخروجُهُ كان ملتبِسًا بخوفِه.

بلاغةُ حذفِ متعلّق ﴿خَآئِفًا﴾:

خاف موسى على نفسِه من أن يُدركه الطَّلب

ورد الوصف ﴿خَآئِفًا﴾ مطلقًا دون ذكر متعلّق متعلِّقٍ في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾؛ لإفادة اتِّصافه بالخوف من غير نظر إلى أيِّ أمر آخر، وليدلَّ الإطلاق على إرادة العموم، فيحتمل توجيهات متعدِّدة، ولهذا ذكر المفسِّرون أقوالًا متباينة، فقيل: خائفًا أن يقتفوا أثره أو خائفًا على نفسِه من أن يُدركَ في الطَّلب[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالجملة الفعلية ﴿يَتَرَقَّبُ﴾:

تصويرُ حال موسى في النَّفس واستحضار مشهد خروجه

عُبِّرَ بالجملة الفعليَّة ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾، وهي في محلِّ نصبٍ حالٌ أخرى من فاعل الخروج، وهو موسى ﷺ[2]، والنُّكتةُ في مجيء هذه الحال جملةً فعليَّةً دلالةُ

(1) القشيريّ، لطائف الإشارات: 3/ 59، والشّربيني، السّراج المنير: 3/ 90.
(2) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 128.

الفعل المضارع فيها على الاستمرار التجدُّدي؛ إضافةً إلى ما فيه من تصوير الحال واستحضار المشهد في النَّفس، بمعنى تجدُّد ترقُّب موسى وترصُّده للطلب وقتًا فوقتًا، ممّا يومئُ إلى أنَّه كان يكثر الالتفات بإدارة رقبته في الجهات ينظر، هل يتبعه أحد؟.

بلاغةُ الكنايةِ في الآية:

استنباطُ الفوائدِ والعِبر من قصَّة موسى عليه السلام

تُستنبَطُ من قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ كنايتان، **الأولى:** أنَّ خروج موسى عليه السلام من مدينة فرعون كان على وجه الفرارِ؛ لاقتران الخروج بالخوف والترقُّب، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: 21].

والكنايةُ الثانية: عن سرعة خروجِ موسى عليه السلام من المدينة دون تحضيرٍ لسفره، فخرج بلا زادٍ ولا هادٍ، فأفلتَ من القوم، فلم يجدْهُ أحدٌ منهم، وخرج بحكم فَزَعِهِ ومبادرته إلى الطريق المؤدّية إلى مدين، وهي مدينةُ قوم شعيب عليه السلام، وكان موسى لا يعرف تلك الطريق، ولم يصحب أحدًا، فركب مَجْهَلَتَها واثقًا بالله تعالى ومتوكِّلًا عليه[1].

بلاغةُ الفصلِ في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي﴾:

اشتمالُ الترقُّب على سؤال النَّجاة من الربِّ

فُصِلَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عن الجملة السّابقة، وهي قوله تعالى: ﴿يَتَرَقَّبُ﴾؛ لوجود كمال الاتِّصال بينهما، وهو اتِّحاد الجملتين اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنزَّل الثّانية من الأولى منزلة نفسها[2]، فقد وقعت جُمْلَةُ: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بدلَ اشتمالٍ من جملة ﴿يَتَرَقَّبُ﴾؛ لأنَّ ترقُّبه يشتمل على الدُّعاء إلى الله بأن ينجيه[3].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 282.
(2) القزويني، الإيضاح: 3/ 108.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 96.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿نَجِّنِي﴾:

تخليصُ اللهِ سبحانه لعبدِهِ من بطشِ فرعون وجنودِهِ

أوثرَ التَّعبيرُ بالفعل (نجِّ)، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهذا الأصل يدلُّ على الذَّهاب والانكشاف من المكان في سرعة، والعرب تقول: ناقَةٌ ناجيةٌ ونَجاةٌ: سريعةٌ[1]، وكلُّ ما في القرآن من هذا التَّركيب فهو بمعنى الخلوصِ من خطر محدِق أو عذاب أو غرق أو كرب، نحو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ [الأنعام: 64][2]، وهو بهذا المعنى في هذه الآية، فقد دعا موسى عليه السلام ربَّه أن يُخلِّصه من بطش فرعون وجنوده، وقد أجاب الله دعاءه.

نكتةُ ذِكرِ القومِ في ﴿ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

رسوخُ الظُّلم في قوم فرعون وعدِّه من خصائِصهم

أتى النَّظمُ الكريم بلفظ (قوم) في قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مع صحَّة المعنى دونه، وذلك لنكتة بديعة، وهي الإشارةُ إلى أنَّ الوصفَ المذكورَ بعدَهُ، وهو الظُّلم كان من مقوِّمات قوميَّتهم؛ لأنَّه صار من خصائِصهم، بخلاف ما لو قيل: من الظّالمين، وشاهد ذلك قولُ العنبريِّ:

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم *** طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا[3]

أي: قوم هذه سجيتهم[4].

فائدةُ التعريف بـ(أل) في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

دخولُ قومِ فرعون في الظّالمين عهدًا واستغراقًا

جاء لفظُ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ معرَّفًا بـ (أل)، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهي تحتمل العهدَ أو الاستغراق، فإن كانت للعهد؛ فالمقصودُ بالظّالمين فرعونُ وملَؤُهُ، ووصفهم بالظُّلم؛ لأنَّهم مشركون، وقد راموا قتله قصاصًا عن قتل خطأ، وذلك ظلمٌ؛ لأنَّ الخطأَ في القتل لا يقتضي الجزاء بالقتل في نظر العقلِ والشَّرع،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نجو).
(2) محمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نجو).
(3) لفُريط بن أُنيف من قبيلة بلعنبر، يُنظر: ديوان الحماسة، أبي تمام، ص: 20.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 297.

وإن كانت للاستغراق، فيدخل فيها كلُّ ظالم، ويدخل قومُ فرعونَ دخولًا أوَّليًّا[1].

نكتةُ التَّعبير باسم الفاعل ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

أصلُ الظُّلمِ وضعُ الشَّيء في غير موضعهِ المختصِّ به

أوثرَ التَّعبيرُ باسم الفاعل المجموع ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على رسوخهم في الظُّلم، وأصل الظُّلم: وضعُ الشيء في غير موضعه المختصِّ به، إمّا بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه[2]، ومعنى الظُّلم في هذه الآية الشِّرك، والظّالمون هم المشركون من أهل مصر[3]، وسُمّي الشِّرك ظلمًا؛ لأنَّه وضع العبادة في غير الخالق[4]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 13].

العِبرةُ من قصَّة موسى مع القبطيِّ:

الله أعلمُ حيث يجعل رسالاته ويصطفي من يشاء من خلقه

محلُّ العِبرة من قصَّة موسى عليه السلام مع القبطي، وخروجه من المدينة من قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾، إلى هذه الآية: هو أنَّ الله يصطفي من يشاء من عباده، وأنَّه أعلمُ حيث يجعل رسالاتِه، وأنَّه إذا تعلَّقت إرادته بشيء؛ هيَّأ له أسبابه بقدرته، فأبرزه على أتقن تدبير، وأنَّ النّاظر البصيرَ في آثار ذلك التَّدبير يقتبس منها دلالةً على صدق الرَّسول في دعوته، وإنَّ أوضح تلك المظاهر هو مظهر استقامة السّيرة ومحبة الحقِّ، وأنَّ دليل عناية الله بمن اصطفاه لذلك هو نصره على أعدائه، ونجاته ممّا يُكاد له من المكائد، وفي ذلك كلِّه مثلٌ للمشركين لو نظروا في حال محمد ﷺ في ذاته وفي حالهم معه، ثم إنَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ إيماءً إلى أنَّ رسوله ﷺ سيخرج من مكَّة وأنَّ الله منجيه من ظالميه[5].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 490، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 96.
(2) يُنظر: ابن سِيده، المحكم والمحيط الأعظم، والراغب، مفرداتُ ألفاظ القرآن: (ظلم).
(3) مقاتل بن سليمان، التّفسير: 03/ 340.
(4) يُنظر: الشّنقيطيّ، العذب النَّمير: 1/ 82.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 96.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّجاة والتَّخلُّص:

خـــصـــوص الـتـخـلُّـص مـن تـعـقـيـد، وخـــصـــوص النجاة من أذًى

يتمثَّلُ الفرق بين لفظي (النَّجاة) و(التخلُّص) في كون التخلُّص لا يكون إلّا من تعقيد، وإن لم يكن أذًى، في حين أنَّ النجاة لا تكون إلّا من أذًى، ولا يقال لمن لا خوف عليه: نجا؛ لأنَّه لا يكون ناجيًا إلّا ممّا يُخاف[1].

كما يظهر الفرق جليًّا في ملحظ اشتقاق كلٍّ لفظ، فأصل النَّجاة: الانكشافُ من المكان بسرعة[2]، في حين أنَّ أصل التخلُّص: تنقيةُ الشَّيء وتهذيبه، والصفاء من المكدِّرات[3].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 120.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نجو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلص).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»